الفرق بين الفصاحة و البلاغة لغةً و اصطلاحاً

استاذة راحيلة

علم البلاغة ومباحثها من أجل العلوم و أنفعها لأنه يعرف به دقائق اللغة العربية واسرارها و يكشف به وجوه اعجاز القرآن الكريم، فيفيدنا من ناحيتين، من الناحية الدينية(وهي معرفة اعجاز القرآن الكريم) و من الناحية الأدبية (وهي الوقوف باللغة العربية وقواعدها) ولهذا قوره علماء اللغة (١) من : "أحق العلوم و أولاها بالتعلم بعد معرفة بالله جل ثناؤه إذ به يعرف إعجاز القرآن الكريم والانسان اذا أغفل علم البلاغة ، لم يكمل علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب و ما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف و ضمنه من الحلاوة....."

يتعلق هذا العلم بعلوم اللغة وله قواعد و أصول كالعلوم الأدبية الأخرى ولكن لم يصبح علماً دقيقاً ذا قواعد و أصول بدفعة واحدة بل اختلفت عليه العصور و تبدلت عليه الأحوال و أخذ الوقت الكثير حتى اتضحت مصطلحاته وأصبح علما مستقلا و فنا كاملا ، و كانت تستعمل كلمة البلاغة منذ قديم للدلالة على فصاحة الكلام، و يقال كلام فصيح و كلام بليغ إذا خلا الكلام عن العيوب التي تفسد الكلام. وفي الحقيقة البلاغة و الفصاحة هما محور الكلام والبيان واليهما مرجع أبحاث البيان لأن الكلام باعتباره الكلمات يقال (٢) "إنه فصيح و

ذلك إذا ينظر فيها الى مجرد اللفظ دون المعنى و الكلام من حيث اللفظ و المعنى يقال "إنه بليغ" لأنه ينظر بها إلى الجانبين يبدوبه ان موضوع علم البيان هو الفصاحة و البلاغة. فنظراً إلى أهميتهما يجب على طالب علم البيان معرفة معنى البلاغة و الفصاحة (لغة و اصطلاحا) و يلزم عليه فهم الفرق بينهما لكي يفهم أساليب الكلام المختلفة و طرق أداء البيان المتنوعة.

الفصاحة هو الظهور و البيان لغة، يقول العرب "أفصح اللبن" (٣) إذا ذهب عنه اللباء و يقول "أوفصح الصبح" (٤) إذا أضاء و منه "يوم مفصح" أى لا غيم فيه ولا قر. وكذلك يقولون (٥) "أفصح العجمى" إذا تكلم بالعربية و "أفصح الصبى" إذا فهم ما يقول فى أولما يتكلم. قد وردت هذه الكلمة فى معنى الظهور و البيان فى القرآن الحكيم و الحديث النبوى ﷺ أيضا. فروى قول النبى موسى عن أخيه فى القرآن الكريم وهو (و أخى هارون هو أفصح منى لساناً) (٦) أما فى الحديث النبوى فقال النبى ﷺ (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش) (٧) أى كلامه أبين منهم.

فالفصاحة هى الإبانة و الفصيح هو الظاهر و البين لغة ولهذا قرر صاحب "المثل السائر" (٨) أن اللفظ يكون فصيحا إذا كان ظاهراً بيناً و مألوف الاستعمال لمكان حسنه" و يتكون الكلام الفصيح (الف) بكلمات فصيحة و مفهومة إذا كانت معروفة الاستعمال بين الكتاب و الشعراء. ولهذا قيل (٩): "الكلام الفصيح هو الظاهر البين أى أن تكون ألفاظه مفهومة، لايحتاج فى فهمها إلى استخراج من كتاب لغة". الفصاحة فى الحقيقة مصطلح من مصطلحات علم البلاغة و جزئة

الف- يقول "البين (البيّن)" قد رأيت جماعة من مدعى هذه الصناعة و يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذى يعرفه و يعده مشغولة و إذا رأوا الكلام وحشياً غامضاً "الألفاظ يعجبون به و يصفونه بالفصاحة

وهى عبارة عن الكلمات البينة والمعروفة فروى فى "المستطرف" (١٠) قول الامام "الرازى" فى تعريف الفصاحة وهو: "الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد" (ب) وجاء صاحب "الوشاح" (١١) بقوله فى تعريفها و هو "أنها خلوص الكلام أو الكلمة من التنافر والغرابة و مخالفة القياس اللغوي والتعقيد والتكرار و ضعف التأليف" (ج). أى الكلمة أو الكلام يكون فصيحا إذا خلا عن هذه العيوب لأنها تفسد الكلام و تخرج الكلام من معرض حسن إلى غير حسن. وكذلك المتكلم يكون فصيحا إذا نزّه كلامه عن العيوب المفسدة و إذا كان كلامه ظاهرا بينا و معروف الاستعمال بين الكتاب والشعراء. قيل (١٢): ضد الفصيح هو القبيح والقبيح غير موصوف للفصاحة لأنها ضدها لمكان قبحها. و يرى "ابن الأثير" (١٣): أن القبح والحسن من الامور المحسوسة، لأن ألالفاظ داخلة في حيز الأصوات. فالذى يستلذ السمع منها و يميل اليه هو الحسن والذى يكرهه و نفر عنه هو القبيح والقبيح غير موصوف بالفصاحة". وهى تقع وصف الكلمة والكلام و المتكلم كلها قيل: وتكون الكلمة فصيحة إذا سلمت من الثقل فى النطق والغرابة فى الاستعمال و مخالفة القواعد الصرفية (١٤) (و تنافر الحروف يوجب الثقل فى النطق) فاذا لحق بالكلمة عيب من هذه العيوب فخرجت عن درجة الفصاحة. و فصاحة الكلام هو أن يسلم الكلام مما يبهم معناه أى يوجب سلامته عن التنافر والغرابة و

ب- والتعقيد: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد، إما عن التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي.

ج- التنافر: هو أن لا يكون إتصال الكلمات بعضها مما يستلذ بالنقل على السمع، وضعف: أنها بالنسبة الى الغرابة: أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة في المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب.

مخالفة القياس اللغوي: الكلمة على خلاف قانون مقررات الألفاظ المعروفة عند أئمة اللغة من غير خلاف من أحد من أهل الصنعة.

التعقيد: أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي (الوشاح).

غير هما بعد فصاحة مفرداته و أن يجمع فيه المتكلم تلك الصفات الحميدة التي بينها العلماء و البلغاء. و المراد بفصاحة الكلام كما عرفها علماء البلاغة "تكوينه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النقط بها لتآلفها و يسهل على العقل فهمها لترتيب الفاظها و فق ترتيب المعاني (١٥) ويكون المتكلم فصيحا إذا أتى بكلام فصيح وهو : إذا توجد فيه الملكة يقتدر بها على التعبير عن أي معنى من معاني بكلام فصيح كالمدح والرثاء والذم و غيرها. (١٦)

أما البلاغة فهي "الوصول والانتهاء" (١٧) في أصل الوضع اللغوي فنرى انها استعملت في هذا المعنى في القرآن الكريم و قال الله تعالى في المطلقت ٥فإذا بلغن اجلهن٥ (١٨) أي إذا قاربنه. و منه استدل صاحب "المستطرف" (١٩) "أنه إذا يقال بلغت المكان فمعناه إذا أشرفت اليه و إن لم تدخله". وقد استعملت كلمة "بلغ" في معنى "ادرک" و "أشتد" أيضا في الكلام العرب ويقولون (٢٠) "تبلغت به العلة" أي اشتدت العلة و يقولون (٢١) "بلغ في العلم المبالغ" أي أدرک المبالغ. قد بسط "أبو هلال" (٢٢) القول في تفسير معناها و أحاطها من كل جوانبها فيقول : البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها و منها مبلغ الشئ أي منتهاه و منها المبالغة أي الانتهاء إلى غايته و يقال "الدنيا بلاغ" لأنها تزديک إلى الآخرة و في قول الله تعالى (هذا بلاغ للناس) أي تبليغ". و عرفها "ابن المقفع" بقوله (و قيل أنه لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع) و هو. (٢٣)

"البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما كان في السكوت و منها ما كان في الاستماع و منها ما يكون شعراً و منها ما يكون سجعاً و منها ما يكون خطباً و ربما كانت رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والاشارة إلى المعنى أبلغ و الايجاز هو البلاغة".

كذلك وضع "ابن المقفع" قاعدة هامة لكل متكلم أن يكون فى كلامه ما يشير إلى غرضه ولو كان كلامه سجعا أو مرسلاً، شعراً أو نثراً . أما قوله (منها ما كان فى السكوت)فقال "أبو هلال" (٢٤) فيه "أنه يسمى السكوت بلاغة مجازاً وهو حالة لا ينجح فيها القول ولا ينفع فيها اقامة الحجج فاذا كان الكلام يعرى من الخبرا و يجلب الشر فالسكوت أولى، كما قال أبو العتاهية:

"ما كل نطق له جواب

جواب ما يكره السكوت

والبلاغة فى اصطلاح علم اللغة هى انهاء المعنى إلى السامع أو إلى القارى واضحا بعبارة صحيحة و مفهومة حتى يتمكن الكلام فى نفسه فعرفها "أبو هلال" (٢٥) بقوله : "أن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى إلى قلب السامع حتى تمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن" (د) والجدير بالذكر أثناء الكلام فى الفرق بين الفصاحة والبلاغة هو أن البلاغة تقع و صفاً للكلام والتكلم فقط ولا يوصف بها الكلمة المفردة (عكس الفصاحة لأنها توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم جميعها) و ذلك لأن الكلمة المفردة لا تبين معناها مفرداً وهى قاصرة عن أن تنتهى غرض المتكلم أو الكاتب إلى السامع أو القارى بسبب انفرادها. فقال صاحب "جواهر البلاغة" (٢٦) "الفرق بين الفصاحة والبلاغة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للا لفاظ مع المعانى و أن الفصاحة تكون و صفاً للكلمة والكلام والبلاغة لا تكون و صفاً للكلمة بل تكون و صفاً للكلام (هـ) ولكننا نرى أنه قرر فصاحة الكلام شرط للكلام البليغ مع ذلك إذ قال (٢٧) :

د- فجعل حسن الكلام شرطا للبلاغة لأن الكلام إذا كان قبيح الصورة لم يسم بليغا.

هـ- كذلك يرى التفتازانى أنه يوصف بالبلاغة الكلام و المتكلم فقط دون المفرد إذ لم يسمع كلمة بليغة والتعليل هو أن البلاغة إنما هى باعتبار المطابقة المقتضى الحال و هى لا تتحقق فى المفرد.

فصاحة الكلام شرط فى بلاغته" . فيسمى الكلام بليغا إذا يطابق بمقتضى الحال وما يدعو إليه الأمر الواقع مع فصاحة الفاظه.(و)

و يكون المتكلم بليغا إذا يقتدر على تأليف كلام بليغ مطابق لمتقضى الحال مع فصاحته (٢٨) و فى الحقيقة كان قدكثرت بين الأدباء والبلغاء منذ الجاحظ المباحثات عن الفصاحة والبلاغة و هل موضعهما اللفظ أو المعنى ؟ فقرر "أبو هلال" الفصاحة مقصورة على اللفظ والبلاغة على المعنى بعد أن عرض آراء العلماء فى الفرق بينهما و قرر الفصاحة تمام آلة البيان بقوله (٢٩) : الفصاحة تمام آلة البيان (ز) والدليل على ذلك أن الألثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف و زياد الأعجم كان يعبر الحمار بالهمار لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف فهو أعجم و شعره فصيح لتمام بيانه، فالفصاحة مقصورة على اللفظ والبلاغة على المعنى.

و فتح "ابن رشيق" فصلا للحديث بين اللفظ والمعنى فى كتابه "العمدة" فجعلهما متلازمين بقوله (٣٠) : أنهما متلازمان، إذا اللفظ جسم ، روحه المعنى و من ثم كان ما يوصف به أحدهما يعد وصف للآخر، فإذا وصف اللفظ بالغرابة والابتذال، كان ذلك وصفاً للمعنى الجاثم وراءه وكذلك الشأن فى المعنى إن وصف بالوضوح أو الغموض، كان ذلك وصفا للفظ الذى يعرضه و يجلوه". فيعبرهما بالجسم والروح فى التلازم و يرى أنه لا يفيد اللفظ بدون المعنى المفيد

و ـ قيل: لبلاغة الكلام طرفان أحدهما أعلى إليه تنتهى البلاغة و هو الاعجاز، وما يقرب عنه ، من حد الاعجاز انتهى، الطرف الاعلى للبلاغة و يعجز البشر عن الاتيان بمثله و هو حد الاعجاز و قريب من حد الاعجاز هو أن يعجز البشر عن الاتيان بأقصر سورة ـ

ز ـ آلة البيان: هى كل ما لا وجود و لا تمام للبيان إلا بوجوده و تمامه ـ

(٢٨) و (٢٩) المصباح النقدية « البلاغية فى البيان والتبيين للجاحظ) تحقيق ـ الشاهد البوشيخى

له ولا يفيد المعنى بدون اللفظ الموزون له . أما "الجاحظ" (٣١) فيرى : أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى ولكن الشان فى اقامة الوزن و تخيير اللفظ وسهولة المخرج" . و لكننا نعتقد أن قول "عبدالقاهر الجرجانى" امام اللغة العربية وواضع علم البلاغة يكفى لنا فى هذا المجال فانه بسط الكلام فى قضية اللفظ والمعنى و جاء بدلائل قاطعة من آداب العرب ومن القرآن الكريم و الحديث النبوى فى كونهما شيئين متلازمين و انتهى إلى قوله (٣٢) : قد اتضح اتضاحا ، لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى الفاظ مجردة ولا من حيث كلم مفردة و أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة و خلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها". ونقد على رأى الجاحظ نقداً شديداً اذ قال : أنه يتشدد فى رأيه غاية التشدد إذ يقول أن المعانى مطروحة فى الطريق ....." . لانه فى رأيه هما كالجسد والروح ولا مزيد للفظ دون المعنى الموزون له. فقال يظهر اعجابه بموضع آخر فى كتابه "الدلائل" (٣٣): ما فى اللفظ لو لا المعنى و هل الكلام إلا بمعناه" . فانكر للمعانى مزية فى البلاغة كما أنكر ذلك للكلمات فى رأيهالمعول هوعلى النظم (أى معانى النحو) والأسلوب و فصاحة الألفاظ و بلاغتها ترجع إلى الصورة التى تظهر فيها.

و رأى "ابن الأثير" (٣٤) اليهما من ناحية آخرى و عبرهما بالخاص والعام و قرر "البلاغة أخص من الفصاحة كالانسان مع الحيوان و كذلك كل كلام بليغ فصيح و ليس كل كلام فصيح بليغ" ولكن ردّ "التفتازانى" رأيه و حمله على الفساد بقوله (٣٥) : "أنه فيه نظر وليس بين حقيقتى الفصاحة والبلاغة عموم و خصوص بل هما كل وجزء فالبلاغة ذو اجزاء مرتبة والفصاحة جزء غير محمول.

يبدو بهذا البحث أن البلاغة والفصاحة تستعمل فى معنى واحد وهو

ايضاح المعنى وابلاغه الى السامع فيرى "عبدالقاهر" (٣٦) واضحا بعبارة صحيحة مفهومة. وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة الفاظ مترادفة، وقال "إبو هلال العسكرى" (٣٧): "الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد إن اختلف أصلاهما لأن كل واحد منهما إنما هو الابانة عن المعنى والاظهار له". وقرر "الجوهري" (٣٨) الفصاحة البلاغة بعينه بقوله: "الفصاحة البلاغة" أى الفصاحة هى البلاغة والبلاغة ليست فى اللفظ وحده وليست فى المعنى وحده ولكنها لها أثر لازم لسلامة تآلف هذين وحسن انسجامها قيل (٣٩): أن البلاغة بمرجعيها و أن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزئيين". فلا بد للكلام البليغ أن تكون فيه الفصاحة لأنها جزء البلاغة والبلاغة ذو اجزاء مرتبة. هكذا اعتنى العلماء بهذا البحث و رتبوا بحوثا طويلة عن أصلهما ووضعوا القواعد و صنفوا الكتب بعد نظر دقيق فى آداب اللغة العربية و بعد دراسة عميقة لأساليب كلام العرب. وانكشفوا أسرار البلاغة و فتحوا أكمام الفصاحة حتى عرفوا البلاغة من حيث علم مستقل و فن كامل بقولهم (٤٠): "أنه علم يعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته".

يتكون علم البلاغة من المباحث الثلاثة وهى، علم البيان وعلم المعانى و علم البديع و سنذكرها مجملاً.

علم البيان

البيان لغة "الكشف والايضاح" (٤١) وعرفه "الجاحظ" (٤٢) بقوله:

> "البيان اسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى و هتك الحجاب عن الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقة يهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان".

و امتاز الله به الانسان عن سائر المخلوقات فقال (٤٣)، ﴿الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان﴾ وفي اصطلاح علم البلاغة، "البيان هو علم ايتاء الكلام الواحد بطرق مختلفة فعرفه البلغاء بقولهم: (٤٤) "علم البيان هو إيتاء الكلام الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة بأن تكون الدلالة بعضها أجلى من بعض".

وقال ابن خلدون (٤٥) عن مبدأ هذا العلم "أنه حادث في الملة بعد علم العربية واللغة و يعد من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و يقصد بها الدلالة عليها". والذي رتب قواعده و دون مسائله هو أبو عبيدة (ح) معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٨ هـ الذي صنف كتابه "مجاز القرآن" لبيان مباحثه. لعلم البيان شرف كبير و فضل عظيم فيرى "عبدالقاهر الجرجاني" (٤٦) عالم اللغة وواضع علم المعاني في فضله "فلو لا ه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالم ولا يفتق عن أزاهير العقل كمائمه و هذا لأن علم البيان يعطي العلوم منازلها و يبين مراتبها و يكشف عن صورتها و يجني صنوف ثمرها و يدل على أسراراها و يبرز مكنون ضمائرها".

وقال في "الدلائل" (٤٧) في فضله:

"إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً و أبسقُ فرعاً و إجلى جنىً و أعذب و رداً واكرم نتاجاً و أنور سراجاً من علم البيان".

و قرره "ابن الأثير" (٤٨) بمنزلة علم الفقه لتأليف الكلام بقوله: "علم

ح- وكان عالما بالشعر والغريب والأخبار والأنساب وصاحب "مجاز القرآن" وألفة عقب أن سئل عن مسئلة بلاغية و هو قول الله تعالى من القرآن الكريم (طلعها كأنه رؤس الشيطن) وقيل: انما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف فأجاب أبو عبيدة: كلام الله تعالى على قدر كلامهم أما سمعت قول امرى القيس: أيقتلى والمشرفى مضاجعى. ومسنونة زرق كأنياب أغوال وهم لم يروا الغول قط و لكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا عدوا به(تاريخ علوم البلاغة، ص ٦٥، لأحمد مصطفى المراغى)

البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام". وهذا لأنه يستطاع بمعرفته على أداء معنى واحد بأساليب عدة و طرق مختلفة. فيوضع الكلام في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة أو المجاز العقلي أو المجاز المرسل أو في صورة من صور الكناية. وبه يفصل الفرق بين اساليب مختلفة وهو ميزان صحيح لتعرف أنواعها و به يمكن دراسة أدبية عن كل أسلوب من أساليب الكلام و نعرف سر البلاغة فيه . فلا نجحد فائدة علم البيان و مباحثه.

علم المعاني

المعاني جمع "معنى" و هو لغة "المقصود" (٤٩) . وهذا في الحقيقة مصطلح من مصلحات علم البلاغة الذي يتعلق بالجملة و ما فيها من حذف أو ذكر، تعريف أو تنكير، تقديم أو تأخير، فصل أو وصل، ايجاز أو اطناب فيلقى الكلام ملائماً للمقام الذي قيل فيه و يطابق بأحوال السامعين لأن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام بمقتضى الحال فعرفه البلغاء (٥٠) بقولهم : هو علم يبحث في أنواع الجمل المختلفة و استعمالها و يبين وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين و المواطن التي يقال فيها". فنرى أن الخبر يؤكد أحياناً وقد يلقى بغير التوكيد أحياناً حسب حال السامع روى (٥١) أن "أبا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي" (الذي كان معاصرا لمامون والمعتصم والمتوكل) قال "لأبي العباس المبرد" إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أين وجدته؟ فقال وجدتهم يقولون عبدالله قائم، ثم يقولون إن عبدالله قائم و ثم يقولون، إن عبدالله لقائم فالألفاظ مكررة والمعنى واحد، فقال "أبو العباس" بل المعاني مختلفة، فالأول، اخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث، ردّ على منكر فمنه استخرج البلغاء أضرب الخبر الثلاثة وهي الابتدائي والطلبي والنكاري.

لا يخبرنا الكتب عن مولفة الأول إلا أن "عبدالقاهر الجرجانى" و ضع قواعد علم المعانى فى كتابه "دلائل الاعجاز" و سماها "النظم" أو 'معانى النحو' وقال (٥٢): "و اعلم أن ليس النظم سوى أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التى تهجت فلا تزيع عنها".

والسكاكى بعده أطلق مصطلح علم المعانى على المباحث التى سماها عبدالقاهر النظم و عرفه بقوله (٥٣) "أنه تتبع خواص تركيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره".

و لعلم المعانى فضل كبير كما هو لعلم البيان و لا نستطيع أن نجحد بأهميته لأن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام بمقتضى الحال "والقول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذى قيل فيه و يناسب حال السامع الذى ألقى عليه لأنه قديماً قال العرب لكل مقام مقال(٥٤).

كذلك يوجب علم المعانى أن يخاطب كل انسان على قدر استعداده فى الفهم و نصيبه من اللغة والإدب و لا يجوز أن يخاطب العامى بما يخاطب به الأديب

علم البديع

البديع لغة "المخترع والموجد على غير مثال سابق" (٥٥) كما قال الله تعالى فى القرآن الحكيم ﴿ بديع السموت والارض ﴾ (٥٦) و فى الاصطلاح "هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التى تزيد الكلام حسنا وطلاوة بعد مقتضى الحال" (٥٧) هذه المزايا تحسن فى الكلام بعد كونه مطابقا لمقتضى الحال ووضوح الدلالة على المرام، قيل (٥٨) "فان هذه الوجوه انما تعد محسنه بعد تينك الرعايتين والا لكان كتعليق الدرر على أعناق الخنازير". ولهذا قرر العلماء (٥٩)

مرتبة علم البديع بعد مرتبة علمى البيان والمعانى و بعضهم لم يجعله علماً على حده و جعله ذيلا لهما ولكن يرى أكثرهم أن تأخر رتبته لا يمنع كونه علماً مستقلاً.

والذى له فضل السبق فى تاليف قواعده هو "أبو العباس عبدالله ابن المعتز العباسى" المتوفى ٢٩٦ هـ فهو أول من صنف فيه كتاب و سماه "البديع" وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعا للبديع و أعلن فى كتابه أنه ألف كتابه ليدل دلالة قاطعة: (٦٠) "أنه ما يسمون المحدثون بديعاً موجود فى القرآن والحديث حتى فى كلام الجاهلين".

و علم البديع فى الحقيقة النظر فى تزئيين الكلام و تحسينه والكلام لا يفتن العقول إذا خلا عن المحسنات اللفظية والمعنوية ولهذا قيل (٦١)

"العلماء دوّنوا هذا العلم لأنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضى أيضاً لأن الحسناء إذا عريت عن المزينات ربما يذهل ببعض القاهرين عن تتبع محاسنها فالكلام إذا كان خالياً عن المحسنات لا يخلب العقول".

فهى المباحث الثلاثة التى يشتمل علم البلاغة عليها. ولها أهمية عظيمة لأن الفضيلة للكلام الذى فيه لطائف الفصاحة و دقائق البلاغة وخصائص المعنى والبيان فمعرفته مهم جدا لمعرفة اعجاز القرآن الحكيم وما فيه من فصاحة الأسلوب و حسن المعانى، و لمعرفة حكمة الأحاديث النبوية وما فيها من فضيلة البيان لأن كان النبى ﷺ على مقام عظيم من الفصاحة والبلاغة وكان أوتى جوامع الكلم.

للبلاغة تاريخ قديم و أينما نجد الأدب، نجد المباحث البلاغية به أيضا. فتوجد هذه المباحث فى الأدب منذ العصر الجاهلى لأنه للعرب الجاهليين أدب كثير وكانوا على مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان. فقال الرافعى (٦٢) ولهذا دعاهم

القرآن إلى معارضته في بلاغته الباهرة و دعوته إلى المعارضة تدل في وضوح ما أوتوا من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام. وقد صور مبلغ فصاحتهم و بلاغتهم بمواضع مختلفة.

ولكنها اتخذت صورة العلم المستقل في العصور المتأخرة ووضعت قوانينها من حيث علم البلاغة بعد أن اعتنى بمباحثها العلماء والبلغاء لمدة طويلة. فأطلقت اسماء متفرقة على مباحث بلاغية، فتارة سميت بعلم البيان (كما فعل الجاحظ في كتابه البيان والتبيين) و تارة بعلم البديع (فكتب ابن المعتز "البديع" لبيان أنواعه) و طورا بعلوم النقد (والف "قدامه بن جعفر" نقد النثر ونقدالشعر) و حينا عبّرها العلماء بصناعتي الشعر و النثر (كما فعل أبو هلال في كتابه الصناعتين) وما زالت هذه العلوم على طريق النمو بأسماء مختلفه حتى أقام بناء ها على أساس متين عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ) (٦٣) في القرن الرابع الهجرى و أحكم بناؤها بالامثلة والشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب و قرن بين القواعد الفنية والأساليب الأدبية وكذلك جمع بين العلم والعمل. وتبع نهجه "جار الله الزمخشري" الذى كشف في كشافه عن وجوه اعجاز القرآن الكريم و أسرار بلاغته وما دام العلماء بعده يفسرون مصطلحات هذا العلم ومباحثه. وألفت الشروح والحواشي على كتب القدماء و بعضهم لخّصوا المباحث البلاغية حتى فقد هذا العلم أهميته وأصبح من المعصيات(٦٤)

وفي العصر الحاضر يعد علم البلاغة فرع علم النقد و يرى الباحثون أن القواعدالبلاغية كانت في الحقيقة مقاييس نقدية على هيئة ملاحظات أبداها النقاد على الأعمال الأدبية حتى اتخذت شكل القوانين على يد البلاغيين فيما بعد. قيل (٦٥) : "حقل البلاغة غير بعيد عن حقل النقد فهما متجاوزان بل إن حقل البلاغة انما هو

امتداد حقل النقد، فالنقد الأدبى أصل للبلاغة و البلاغة فرع للنقد الأدبى".

فجعله العلماء ذيلا لعلم النقد و فرعه لانه معرفة الجيد من الردى والحسن من القبيح فى الكلام المنثور أو المنظوم لا يمكن لنا إلا به.

والله أعلم بالصواب

الهوامش

٢. الصناعتين فى صناعتى الشعر والنثر، ص٢، لأبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكرى، الطبعة الأولى، مطبعة محمود بك بمصر ١٣١٩هـ

٣. جواهر البلاغة، ص٤، لأحمد الهاشمى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ/١٩٦٠ء

٣. لسان العرب (ف ص ح) ٢/٢٠٤٤-٤٥، للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى، دار صادر بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٠٠هـ

٤. الجمهرة فى اللغة، ٢/١٦٦، لابن دريد، أبى بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى الطبعة الأولى، دار صادر بيروت فى مطبعة مجلس دائرة المعارف، ١٣٤٤هـ

٥. تاج العروس، ٢/١٩٧، للعلامة بالله، أبى القاسم لمحمد مرتضى الزبيدى، منشورات دارمكتبة: أساس البلاغة، ص٤٧٤، محمود بن عمر الزمخشرى، دار بيروت، للطباعة والنضر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥ء

٦. القصص/٣٤

٧. النهاية فى غريب الحديث والاثر، ٣/٤٥٠

٨. المثل السائر، ١/١١٥، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق دكتور محمد الخوفى فى أدب الكاتب والشاعر والدكتور بدوى طبانة.

٩. ايضاً

١٠. المستطرف فى كل فن مستطرف، ١/٩٦، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الاشبيهى، مشورات الشريف الرضى، قم.

١١. الوشاح، ١/١٧، لمحمد الكرمى، المطبعة العلمية، قم، سنة ١٤٠١هـ.

١٢. اسرار البلاغة، للعاملى، ص١، ١٣٠٦هـ، (بهاء الدين محمد بن حسين العاملى م ١٠٠٣ء)

١٣. المثل السائر، ١/١١٤ ١٤. جواهر البلاغة، ص٦، وما بعد

١٥۔ ایضاً، ص ٢١ ١٦۔ ایضا، ص ٣٠

١٧۔ اساس البلاغة، مادة بلغ، ص ٤٩٠۔٥٠ : لسان العرب، ٨/ ٤١٩

١٨۔ الطلاق/ ٢ ١٩۔ المستطرف، ١/ ٩٤

٢٠۔ اساس البلاغة، ٤٩٠، ٥٠ ٢١۔ ایضا۔

٢٢۔ الصناعتين، ص ٦

٢٣۔ البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ١/ ٨٢، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م

٢٤۔ الصناعتين، ص ١٠ ٢٥۔ ایضاً، ص ٤٠

٢٦۔ جواهر البلاغة، ص ٤٠ ٢٧۔ ایضاً

٢٨۔ ایضاً، ص ٣٤ ٢٩۔ الصناعتين، ص ٧

٣٠۔ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه و نقده، ١/ ١٢٤، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٣ھ/ ١٩٦٣

٣١۔ البيان والتبيين، ١/ ١٨

٣٢۔ دلائل الاعجاز، ص ٣٨، لعبدالقاهر الجرجانى دارالمعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ھ/ ١٩٧٨م

٣٣۔ ایضاً، ص ١٧٧

٣٤۔ المثل السائر، ١/ ٧٠

٣٥۔ شروح التلخيص، ١/ ٧٤ (مختصر) العلامة سعد الدين تفتازانى على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى، دارالسرور، بيروت، لبنان

٣٦۔ الدلائل، ص ٣٥ ٣٧۔ الصناعتين، ص ٧

٣٨۔ تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص ٩، لأحمد مصطفى المراغى، الطبعة الأولى ١٣٦٩ھ/ ١٩٥٠

٣٩۔ المفتاح، ص ١٠٠، لأبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٣٥٦ھ/ ١٩٣٧م

٤٠۔ جواهر البلاغة، ص ٤٠

٤١. لسان العرب، ١٣/٦٧، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الافريقى المصرى، دار أحياء صادر بيروت

٤٢. البيان والتبيين، ١/٥٥ ٤٣. الرحمن، ١/٣٠٢

٤٤. كشف الظنون، ١/٢٥٩ : المفتاح، ص ١٥٦

٤٥. مقدمه ابن خلدون، ص ٥٥، للعلامة عبدالرحمن ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٦. أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجانى (فاتحه الكتاب)

٤٧. دلائل الاعجاز، ص ٤

٤٨. المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ص ٣٥، لضياء الدين ابن الاثير تقديم و تحقيق دكتور أحمد الحوفى و دكتور بدوى طبانة، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الاولى، ١٣٧٩ھ/١٩٥٩م

٤٩. جواهر البلاغة، ص ٤٨

٥٠. ابجد العلوم، ٢/٤٨٦، لصديق حسن القنوجى، المكتبة القدوسية، لاهور المفتاح، ص ٧٧، و ما بعد

٥١. البلاغة تطور و تاريخ، ص ٤١، لدكتور شوقى ضيف، الطبعة السابعة، دار المعارف، بمصر، ١٣٧٧ھ

٥٢. الدلائل، ص ٦٤ ٥٣. المفتاح، ص ٢٤

٥٤. البلاغة الواضحة، ص ٢٥٨، لعلى الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف مصر، ١٣٧٧ھ

٥٥. كشاف مصطلحات الفنون، ١/١٣٥، للشيخ القاضى علامة محمد على بن على الفاروقى التهانوى، سهيل اكادمى لاهور، باكستان ١٤١٣ھ/١٩٩٣ء

٥٦. ايضاً . ٥٧. ابجد العلوم، ١٢٥

٥٨. كشف الظنون، ١/٢٣٢، لمصطفى بن عبدالله الشهير، بحاجى خليفه وبكاتب جلبى، طبع استنبول، ١٩٤١م

٥٩. ايضاً

٦٠. البديع، ص ١، لعبدالله ابن المعتز الخليفه العباسى، مطبعة البابى الحلبى

وأولاده بمصر، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م

٦١. ابجد العلوم ٢٠/١٢٥

٦٢. البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف، ص ٩، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م

٦٣. عالم اللغة لبداروى زهران، دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م

٦٤. أنظر للتفصيل تاريخ علم البلاغة والبلاغة تطور وتاريخ

٦٥. دراسات في النقد الأدبي والبلاغة (مقدمه) لدكتور عبدالعزيز قلقيلة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، دار المعارف بمصر